ذاكرة السّيرة الذّاتيّة في تجربة محمّد الباردي النّقديّة والرّوائيّة

د. بسّام البرقاوي[1]

د. هادية المشيخي[2]

(1)(2)أستاذ مساعد بجامعة الشّرقية

الملّخص

تعلّقت همّتنا في هذا المقال بالبحث في الخطاب الواصف للذّاكرة في تجربة النّاقد والرّوائي التّونسي محمّد الباردي. وما كنّا لننشغل بهذا المبحث لو لم نجد حديث الذّاكرة في هذه التّجربة حديثا لذيذا مشتهى. يحكيه الباردي نصا سرديّا لا يخلو من نفحات شعريّة. ويثبته موقفا نقديّا لا نعدم فيه أصالة وطرافة. وبنينا عملنا هذا على محاور خمسة: تعلّق أوّلها بإشكاليّة التّذكر والأيديولوجيا، واتّصل ثانيها بما سمّيناه الذّاكرة والكيان، وارتبط ثالثها بموضوع الذّاكرة والكتابة، وانشدّ رابعها إلى قضيّة الذّاكرة والنّسيان، وانشغل خامسها بعلاقة الذّاكرة بالخيال والتّخييل.

الكلمات المفاتيح: السّيرة الذّاتية، ذاكرة السّيرة الذّاتيّة، الخطاب الواصف.

Abstract

The focal interest in this paper revolves around investigating the metadiscourse of memory in the experience of the Tunisian novelist and critic Mohamed Bardi. This line of inquiry has been motivated by the ingenuity and attractiveness of 'memory talk' within this experience. It is a talk that is plotted in a narrative text replete with aesthetic overtones. It is equally corroborated by a critical perspective that is never devoid of originality and exquisiteness. This paper is built around five research axes ranging from the investigation of memory and ideology, memory and existence, memory and writing, memory and forgetting culminating into probing the relationship between memory, imagination and fiction.

keywords

autobiography, memory, autobiographical memory, metadiscourse.

ISSN : 2410-1818

تصدير

نحن لا نتحرّر إلاّ من خلال التذّكر، (نيتشه).

لقد حان الوقت لكي أقول الحقيقة، أخيرا، لكن لا يمكن أن أقولها إلا في عمل تخييليّ (جان بول سارتر).

ليس التّذكر نفيا للنّسيان، التّذكّر شكل من النّسيان (ميلان كيندير).

مقدّمة

قد يلاحظ المطّلع على كتابات محمد الباردي[1] في السّيرة الذّاتيّة إبداعا ونقدا أنّه قلّب جذر (ذ، ك، ر) تقليبا حتّى كاد لا يترك مشتقّا من مشتقّاته إلاّ وطالب بنصيه فيه. وبدا لنا ذلك التّشقيق، في أولى قراءاتنا، طبيعيّا. إذ نحن إزاء فنّ محكوم عليه سلفا بالعودة إلى الذّاكرة. وبدا لنا ذلك التّقليب أيضا ضروريّا في الكلام على جنس لا يكون جنسا إلاّ إذا كان حكيا استيعاديّا. أمّا وقد اطّرد الأمر في أعماله اطّرادا لافتا للانتباه، وشقّ نصوصه شقّا، ظهر لنا غير خال من الطّرافة لا سيما في بعض الفصول التي تجلّى فيها الخطاب الواصف للذّاكرة خطابا وجدانيّا شعريّا حالما مثقلا بالرّمز، طافحا بالبوح، في كتابيه "حنّة- سيرة ذاتيّة روائيّة - الكتاب الأوّل".[2] و" تقرير إلى عزيز أو سيرة مدينة سيرة ذاتيّة روائيّة - الكتاب الثّاني".[3]

فحديث الذّاكرة أو هذا الشّيء الغريب،[4] قد استبدّ بالباردي ناقدا مؤوّلا. وملأ عليه نصوصه روائيّا مبدعا. ولعلّنا لا نبالغ إذا قلنا إنّ سنة 2005 كانت في حياته "سنة الاحتفال بالذّاكرة" نقدا وإبداعا. ففي هذا السّنة نشر كتابيه "حنّة" و"عندما تتكلّم الذّات"،[5] وإن كان شكري المبخوت قد

---

[1] – **محمّد رجب الباردي** (1947– 2017) جامعي وروائي تونسي. من رواياته "مدينة الشّموس الذّافئة" و"الملاّح والسّفينة" و"قمح فريقا" و"على نار هادئة" و"جارتي تسحب ستارتها" و"حوش خريّف" و"الكرنفال" و"حنّة" و"تقرير إلى عزيز" و"مريم". ومن مؤلّفاته النقديّة " الرّواية العربيّة والحداثة" و" عندما تتكلّم الذّات" و" التّحوّلات السّرديّة: الحداثة وما بعدها" و" تأمّلات في الرّواية التونسيّة".

[2] – محمد الباردي، **حنّة – سيرة ذاتيّة روائيّة – الكتاب الأوّل**، تونس، مركز الرّواية العربيّة للنّشر والتّوزيع، 2010.

[3] – محمد الباردي، **تقرير إلى عزيز أو سيرة مدينة– سيرة ذاتيّة روائيّة** – الكتاب الثّاني، ضحى للنّشر والتّوزيع، 2012.

[4] Gaston Bachelard, La poétique de l'espace, QUADRIGE/P.U.F.2001. p.28

[5] – صدر كتاب " **عندما تتكلّم الذّات**" سنة 2005، بدمشق (اتحّاد الكتّاب العرب) قبل أن يُنشر من جديد في تونس سنة 2008، (منشورات مركز الرّواية العربية بقابس وكلّية الآداب بصفاقس)، وهي الطّبعة التي نعتمدها في هذا العمل. وصدرت "حنّة "سنة 2005 عن دار ضحى للنّشر، ثم صدرت سنة 2010 عن مركز الرّواية العربيّة للنّشر والتوّزيع. وهي الطّبعة التي نعتمدها في هذا العمل.

ISSN : 2410-1818

رجّح أن يكون الباردي قد شرع في كتابة "حنّة" أواخر القرن الماضي،[6] وإن كنا نشير أيضا إلى أنّه قد بدأ أعماله النّقديّة في السّيرة الذّاتيّة قبل هذه السّنة.[7]

فإذا نظرنا في كتابه النّقديّ حول السّيرة الذّاتيّة "عندما تتكلّم الذّات "لاحظنا أنّ خطاب الذّاكرة قد تخلّل أكثر الفصول التي عقدها الدّارس للبحث في السّيرة الذّاتيّة في الأدب العربيّ: منهجا وإشكالية جنس وشروط كتابة ودوافع وإنشائيّة وأشكالا ، قبل أن يخلص في الخاتمة إلى اقتراح تعريف جديد لهذا الجنس الأدبيّ. وإذا نظرنا في "حنّة" و"تقرير إلى ولدي عزيز" جاز لنا القول إنّ محمد الباردي ليس يكاد يخلي فصلا من الفصول من أن يكون متعلّقا من الذّاكرة بسبب، ولم يكد يترك فاتحة من فواتحها إلاّ وجعل فيها للذّاكرة أثرا.

ولذلك كلّه قدّرنا أنّ الخطاب الواصف للذّاكرة في تجربته الرّوائيّة والنّقديّة حريّ بالبحث والتّقصي. وممّا قوىّ عزمنا على ذلك أنّنا نجد أنفسنا في هذا العمل " أمام روائيّ حاذق يجمع إلى الفعل الإبداعيّ المعرفة النّقديّة الدّقيقة بأصول الكتابة السّيرذاتيّة ".[8] ولعلّه من الضّروري أن نشير في خاتمة هذه المقدّمة إلى أنّ نعتمد في إجراء عبارة "ذاكرة السّيرة الذّاتيّة" في تجربة الباردي الإبداعيّة تعريف بريور (Brewer) القائل إنها " (ذاكرة المعلومات المعلنة بالذات) فهذه الذّاكرة تتضمّن الذّكريات أو الأحداث الشّخصيّة الفريدة والمتميّزة الخاصّة بالشّخص نفسه، والتي عاشها في مرحلة ما من حياته، وأصبحت في تاريخه الشّخصي، والمرتبطة بذّات الشّخص ومخطّطاته الذّاتيّة"[9]

الذّاكرة والعين المؤدلجة: ليست هناك كتابة بريئة

علينا أن نستبعد في جنس السّيرة الذّاتيّة فكرة الكتابة البريئة العفويّة. فـ"عين السّارد دائما في هذا الضّرب من الكتابة هي عين مؤدلجة، لأنّها ترى من موقع متطلّبات اللّحظة ورهاناتها، وهي تلتفت إلى الماضي حاجات الحاضر ومبرّراتها ".[10] وعلينا أن نستبعد - مع الباردي أيضا - فكرة الحياد والموضوعيّة " إنّ السّيرة الذّاتيّة لأكثر من سبب واحد ليست تاريخا لحياة يسعى مؤلّفها إلى أن يكون

---

[6] – شكري المبخوت، **الزّعيم وظلاله: السّيرة الذّاتيّة في تونس**، المنشورات الجامعيّة بمنوبة، 2016، هامش رقم 1، ص. 193.

[7] – محمّد الباردي، **السّيرة الذّاتيّة في الأدب العربيّ الحديث حدود الجنس وإشكالاته**، فصول، م. 16، ع. 3، شتاء 1998، ص. ص. 68 – 80. وقد كان هذا المقال فاتحة الأقسام في كتاب " عندما تتكلم الذّات".

[8] – شكري المبخوت، **الزّعيم وظلاله السّيرة الذّاتيّة في تونس**، ص .225.

[9] – محمّد قاسم عبد الله، **سيكولوجيا الذّاكرة (قضايا واتّجاهات حديثة)** ،عالم المعرفة، عدد 290، فبراير 2003، ص 92.

[10] – الباردي، **عندما تتكلّم الذّات**، ص. 163.

ISSN : 2410-1818

موضوعيّا ومحايدا. إنّها قراءة لسجلّ حياة لم تبق منها إلاّ الذّكريات.[11] فالتّحيزّ في هذه الكتابة لا يحتاج إلى بيان، وانعدام التّلقائيّة وما دار في فلكها في غير حاجة إلى برهان.[12]

وقد تعود أسباب التّأدلج - إذا نظرنا في تجربة الباردي- إلى عاملين اثنين مرتبطين ارتباط السّبب بالنّتيجة. أمّا العامل الأوّل، فمردّه أنّ "كتابة الماضي بالمضارع "[13] في هذا الجنس الأدبيّ تجعل فعل التّذكّر يأتي متلبّسا بلحظة الكتابة، متسربلا بها، يرتحل معها أينما رحلت، ويحطّ عصا التّرحال إن هي حطّت. "إنّ فعل السّرد في هذا الجنس الأدبيّ هو فعل تذكّر مرتهن بلحظة الكتابة. وهي لحظة مرتهنة كذلك بأسبابها وظروفها ومبرّراتها، فلا يكتب المرء سيرته الذّاتيّة إلاّ عندما يكون في حاجة أكيدة إليها حتّى وإن كان من أكبر المشاهير".[14] فلحظة الكتابة لحظة معقّدة شائكة فيها تتداخل الأزمنة وتتشابك فيها اللحظات وتتصارع فيها الأوقات. وفيها" ينقسم أنا المتلفّظ إلى ضميرين مختلفين رغم ائتلافهما في ذات واحدة: أنا متذكّر وأنا موضوع التّذكّر، يكيّف الأنا الأوّل الأنا الثّاني، ويعيد إنشاءه خاضعا لتأثير عوامل عديدة يصعب حصرها مثل: النّسيان والانتقاء والإضمار والاختزال ونسبيّة المنظور الذّاتيّ وحدوده المتغيرّة بتغير مقام التّلفظ وظروفه".[15] فالكلام على الماضي في هذا الجنس الأدبيّ بمعزل عن الحاضر يبقى كلاما أجوف فارغا غير ذي معنى.[16]

إنّ كاتب السّيرة الذّاتيّة الذي" يعود إلى البعيد وأمواج الحاضر المتلاطمة تعترض سبيله " (حنّة ص. 10) يعيش صراعا عنيفا مريرا بين ماض يبسط وحاضر يقبض. بل إنّ هذين الزّمنيين يتعانقان ويتعالقان ويأخذ بعضها برقاب بعض. فيعيش المؤلّف حالة من الوجد تضارع حالة المتصوّفة " إنّنا أقرب إلى المتصوّفة والمريدين نعيش الحالة عينها. حالة من أنكر أن تكون بين الأزمنة والفضاءات والعوالم موانع أو حدود " (حنّة ص.71).

---

[11] – المصدر نفسه، ص. 161.

[12] – عمليّة التذكّر " تنطوي على قوّة خلاّقة، تعمل على تغيير الأشياء، وتقتضي التّوكيد الفرديّ والمحاباة، وبالتّالي التّحيّز. فالذّاكرة انتقائية. فهي تنتقي أو تختار أشياء معينة، وتترك أشياء أخرى للنّسيان، سواء شعرنا أم لن نشعر" نيقولاس برديائف، الحلم والواقع، ترجمة فؤاد كامل، مراجعة علي أدهم، مصر، الهيئة المصريّة للكتاب، ط.1/ 1984، ص. 8.

[13] – رشيد بنحدو، **كتابة الماضي بالمضارع**، علامات في النّقد، ج. 23، م. 6، مارس 1997، ص. ص. 263- 282.

[14] – الباردي، **عندما تتكلّم الذّات**، ص .161.

[15] – محمد رشيد ثابت، **الأنا بين الإنشاء والنّشأة في خطاب السّيرة الذّاتية**، موارد (مجلّة كلية الآداب والعلوم الإنسانيةّ بسوسة)، ع10، 2005، ص.31.

[16] – الاستذكار في حدّ ذاته أي كمفهوم وكعمليّة ذهنيّة، (...) مجردّ وفارغ. جليلة الطرطير، **مقوّمات السيّرة الذّاتيّة بحث في المرجعيات**، مركز النّشر الجامعي، مؤسّسة سعيدان للنّشر، 2005، ص. 225.

ISSN : 2410-1818

ورغم شدّة التّداخل وعنف التّرابط، فإنّ الحاضر هو الذي يسيّج الماضي، ويحتويه، ويسطو عليه سطوة لا يستطيع لها عدّا ولا ردّا. وبما أنّ الماضي المفقود والهارب قد استحال إلى ذكريات مفتتّة ومتشظّية، فإنّ استحضاره من جديد لا بد أن يتّسم بنفحات الحاضر وقبساته، ويتغذّى بما طرأ على الواقع من تبدّلات جوهريّة، ويفضي إلى تعايش وتساكن الأزمنة المختلفة وإقامة علاقات بين الأحلام والهواجس المنفلتة من عقالها وبين الاستيهامات المكبوتة والتّطلعات المحبطة " [17] وإذا كان الأمر على هذا النّحو وجب البحث عن دور الذّاكرة التي تسع الأزمنة جميعها في تقديم ذلك الماضي على نحو مخصوص[18] ووجب أيضا استكناه المرايا التي بها نظر الكاتب إلى ماضيه، لأنّه خلال عمليّة التّذكّر" لا يسترجع هذا الماضي بقدر ما يعيد قراءته".[19]

أمّا العامل الثّاني فمردّه إلى ما سمّاه الباردي بـ" التّرتيب الزّمني الصّارم ودوره في القضاء على التّلقائيّة ". إنّ هذه الذّكريات في حاجة إلى شيء من التّنظيم. لكنّني أشعر بعجزي عن ذلك، فكأنّ الأمور تنهال عليّ دفعة واحدة، فأين منّي التّرتيب الزّمنيّ في هذا الخضمّ الزّاخر؟ (...) ومعنى ذلك أنّ من شأن التّرتيب الزّمنيّ الصّارم أن يقضي على التّلقائية قضاء مبرما. وإنّي لأفضّل أن أروي الأشياء كما تحضرني (...) إنّ الذّكريات لتتهاطل عليّ غزارا، فأين التّرتيب الزّمنيّ في هذا كلّه". [20]

لعلّ في هذه التّساؤلات الكثيرة – وكثير من السّؤال جواب – سعي إلى تبرئة الذّات إن اتُّهمت بالكذب وعيّرت بالتّزييف. وهي تهم طالما سعى الباردي إلى نفيها وإثباتها في آن. فهو يدفعها حين يريد إيهام القارئ بأنّه لم يقل إلاّ "الحقيقة". ولا شيء غير الحقيقة. وهو يثبتها حين يعرض لثنائيّة المرجعيّ والتّخييليّ على نحو ما سنبيّن في القسم الأخير من عملنا.

ويبدو أنّ الرّجل كان على وعي أنّه مهما حاول أن يقنع المتقبّل بأنّه قد أطلق النّفس على سجيتّها فصدقت القول، ومهما حاول الإيهام بالتّلقائيّة والعفويّة والموضوعيّة، فإنّه سيكتب عنده كذّابا. لذلك بادر منذ العتبات إلى القول إنّه سيكون كذّابا. بل سيكون من كبار الكذّابين. فعمد إلى تصدير روايته "حنّة" بمقولة للرّوائي محمّد شكري " ليست هناك كتابة بريئة. الكتابة فيها كثير من الكذب. وأنا من أكبر الكذّابين. وفيها كثير من المراوغة وأعتبر نفسي من المراوغين".

---

[17] – محمد الداهي، **الحقيقة الملتبسة**، ص .168.

[18] – لم تعد الذّاكرة بمثابة حضن الذّكريات، بل عنصرا فعّالا في تقديمها. عبد القادر الشّاوي، **الكتابة والوجود**، إفريقيا الشّرق، 2000، ص. 16.

[19] – محمد رشيد ثابت، **الأنا بين الإنشاء والنّشأة في خطاب السّيرة الذّاتيّة**، ص. 33.

[20]– جورج ماي، **السّيرة الذّاتيّة**، تعريب محمد القاضي وعبد الله صولة، تونس، المؤسّسة الوطنيّة للترّجمة والتّحقيق والدّراسات، بيت الحكمة، 1992، ص. 82.

ISSN : 2410-1818

فهو وعلى غير عادة كتاب السّيرة الذّاتيّة لم يناور قارئه. بل لعب أوراقه مكشوفة. وقال إنّ نصّه سيكون نصّا إيديولوجيّا لا مكان فيه للبراءة، وسيكون نصّا مخاتلا مراوغا "والحقيقة في الأدب لا تستوي إلاّ بالمراوغة".[21] وليس على الباردي في ذلك حرج إن هو حرّف الماضي، وإن هو زيّف الحقائق، وإن هو كذب لأنّ " قضيّة الحقيقة في السّيرة الذّاتيّة هي على الأرجح قضيّة زائفة، إذ أنّ السّيرة الذّاتيّة من حيث هي سيرة ذاتيّة، مجافية للحقيقة، وأوّل أسباب ذلك أنّ كاتب السّيرة الذّاتيّة لا يستطيع مهما فعل أن يتخلّص من الحاضر الذي يكتب فيه ليلتحم بالماضي الذي يرويه ".[22]

فالتّخييل وهو جوهر السّيرة الذّاتيّة له قوانينه التي لا تسمح بالبراءة والتّلقائية فـ" التّخييل بمثابة ذاكرة مفتوحة تتجمّع داخلها أزمنة متباينة ووقائع غير متجانسة، وملامح وشخوص شديدة الاختلاف. والتّخييل مثل الذّاكرة، يخضع للانتقاء والنّزوة والصّدفة المحرّضة ".[23] وبهذا المعنى فإنّ ضرورات الحاضر المادية والتّخييلية تبيح محظورات الماضي، وتجعل عين الكاتب كليلة لا ترى إلاّ ما تريد رؤيته، ولا تقول إلا ما تحبّ قوله " لذلك لا يعدّ خطاب الذّاكرة استرجاعا لهذه الحياة بقدر ما يعدّ تأويلا لها في ضوء وعيه الذي اكتسبه في وقت لاحق.[24] وبهذا المعنى إن لم تكن العودة إلى الماضي عودة لبناء الذّات وفق أيديولوجيّة مخصوصة فلا خير فيها. [25] فالكلام عليها يصيبه تحريف "باعتباره منزّلا في سياق ما".[26] أي أنّه رغم ما للذّاكرة من سلطان فإنّ السّيرة الذّاتيّة "ابنة لحظتها".

---

[21] – محمد القاضي، هذه دار الباشا فأين مفاتيحها؟ **مقدمة دار الباشا لحسن نصر**، عيون المعاصرة، تونس دار الجنوب، 1994، ص. 12.

[22] – المصدر نفسه، ص. 94.

[23] – محمد برادة، **الرّواية ذاكرة مفتوحة**، القاهرة، آفاق للنّشر والتّوزيع، ط1/ 2008، ص. 5.

[24] – محمد رشيد ثابت، **الإنشائيّ يشكّل التّاريخيّ في خطاب السّيرة الذّاتيّة – " أيّامي لأحمد السّباعي نموذجا** "، علامات في النّقد، م.16، ج. 65، 2008 ص.277.

[25] – والواقع أنّ السّيرة الذّاتيّة ليست مجرد استعادة للماضي كما جرى، لأنّ ذلك لن يقود إلاّ إلى الحديث عن عالم انقضى إلى الأبد، بل محاولة للبحث عن الذّات من خلال تاريخها. عبد القادر الشّاوي، **الكتابة والوجود**، ص. 13.

[26] – Jean Lombard, Variantes romanesques de quelques épisodes historiques in M Récit et Histoire ouvrage publie avec le concours du centre National des lettres ; PUF ; 1984 p 96 ;

ISSN : 2410-1818

الذّاكرة والكيان: فكيف بن يُرمى وليس برام [27]

" وأنت لم تعد أنت. ولا شيء ظلّ كما كان. ولماذا تكتب؟ هل تبتغي أن تكتب الأشياء التي تغيّرت. المشاعر لم تعد كما كانت. والدّنيا ما عادت دنياك، فيها لعبت وضحكت وتعبت؟ ولماذا تكتب حياتك؟ وأيّ حياة تستحقّ أن تكتب؟ أتريد أن تعود إلى ذاتك، إلى نفسك؟ وقد أطبقت الدّنيا عليك، فأخرجتك عن مسارها. وإلى أنت ذاهب؟ " (ص. 9 و ص. 267). بهذه الصّرخات الملتاعة التي تصوّر نفسا جزوعا هلوعا، رابها حاضرها فلاذت بماضيها، وبهذه التّساؤلات الحيرى لما أحدث الدّهر انفتح الخطاب في رواية "حنّة "وانغلق. ولا تحتاج هذه البنية الدّائريّة التي اختارها الباردي إلى عسر في التّأويل، ولا تتطلّب مشقّة في التّفسير. فالرّغبة في بناء ما تهدّم رغبة واضحة، والتّوق إلى ترميم ما تهرّم توق جليّ.

وقد لا نكون من المغالين إذا قلنا إنّ النّصّ قد تهيّأ منذ البداية ليكون مجدولا على ثنائيّة الهدم والبناء، وهي ثنائيّة مست الذّات والأشياء معا–[28] وإن كانت الذّات هي التي تعنينا أساسا في هذا العمل- فإذا ما حطّ الكاتب عصا التّرحال ذكر بنصّ البداية، حتّى لكأنّه لم يطفئ غليله، ولم يرو ظمأه. فظلّت الحيرة هي هي. وظلّ السّؤال هو هو.

فإذا تركنا "حنّة " وصرنا إلى " تقرير إلى عزيز" وجدنا الثّنائيات نفسها تتكرّر بتشابه مرّة، وباختلاف مرّة أخرى. فإذا نظرنا في جدليّة الهدم والبناء وجدنا الباردي يكرّر في بوح مرير، وبعبارات متنوّعة معنى التّحوّل من حال إلى حال. (لم أعد أنا كما كنت " ص. 176- مضى زمن، وجاء زمن والحياة مع ذلك تلعب لعبتها. وأنا لم أعد كما كنت" ص. 210). ووجدنا البنية الدّائرية مرّة أخرى تتحكّم في بناء النّصّ مع فارق جذريّ. إذ تحوّلت أسئلة الكتاب الأوّل إلى أجوبة برّر بها المؤلّف علّة الكتابة ودواعيها. فقد خاطب نجله في بداية الكتاب قائلا: "وحدها الكتابة - يا ولدي- تخفّف ظهري، وتطهّر نفسي، وتمنحني هذه الشّفافية الرّوحية التي أنا في حاجة إليها، في هذه المرحلة من عمري " (ص. 5). وأنهى سيرته متسائلا مجيبا في آن "من أنا الآن؟ من أنا الآن؟ ولماذا كتبت هذه الأوراق عن حياتي؟ لست رجلا مهمّا إلى الدّرجة التي يكتب النّاس المهمّون قصص حياتهم. ولكنّني أريد أن أعطي لحياتي معنى" (ص. 315).

إنّ التّساؤل عن مبرّر الكتابة في تجربة الباردي يرجع بالأساس إلى الظّروف الحافّة بالحاضر، أي بزمن الكتابة. ذلك أنّ المؤلّف يكتب في لحظة فارقة لم يعد فيها من العمر سوى بقيّة يحاول

---

[27] – يقول عمرو بن قيمنة باكيا الشّباب (من الطّويل)

رمتني بنات الدّهر من حيث لا أرى فكيف بن يرمى وليس برامي

[28] – كان لليهود دار للصّلاة (...) استولى عليها بعض سكّان المدينة، ولكنّ البلديّة منعتهم من ترميمها، وقد تداعت للسّقوط (حنة ص. ص .163- 164) – كان بيتنا قديما. وكان مهيّأ قبل غيره للإزالة والهدم. (حنّة. ص. 167)

ISSN : 2410-1818

امتلاكها قبل أن تذهب بها الأيّام وتغيّبها. هي لحظة ما عاد تسمح باللّعب ولا بالتّعب، هي لحظة يُرمى فيها المؤلّف ولا يرمي و" كيف بمن يرمي وليس برام". يقول في فاتحة كتابه " تقرير إلى ولدي عزيز " " لقد فعل الزّمن فعلته، شابت رؤوس، وتقوّست ظهور، وتبدّلت وجوه (...) ها أنا في منتصف ستيّنات القرن الماضي. سأمضي بك بعيدا يا ولدي. ولا شيء ممّا رسمته في الكتاب الأوّل من هذه الأوراق ظلّ صامدا. تلك هي الحياة، تمضي، فتتغيّر الأشياء والعالم والدّنيا كلّها " (ص. ص. 5- 6).

والحقيقة أنّ المعاني التي رشحت في هذا النّصّ قد تكرّرت في غير موضع. فأشاعت فكرة التّعبير عن الصّراع غير المتكافئ مع الزّمن. وأظهرت الباردي متلهّفا على الحياة ساعيا إلى القبض على أيّام من العمر تستعجل الرّحيل ولا تمشي الهوينى " إنّك تريد الآن أن تقف في وجه الزّمن. أن تجمع بين لحظتين. لحظة تريد استرجاعها، تخرجها من باطن الذّاكرة، من أعماق الأيام الرّاحلة، ولحظة راهنة، تعيشها الآن وأنت تخطّ هذه الورقات الحميمة، ولكنّها هي الأخرى تتأهّب للرّحيل " (حنّة ص. 41). إنّ الرّجل يكتب في لحظة وعي حادّة هي لحظة الإحساس بالنّهاية " وكلّما كان الإنسان واعيا بوجوده زاد قلقه على هذا الوجود، وزادت مقاومته للقوى التي تحاول تحطيمه ".[29] والرّجل شأنه شأن كتّاب السّيرة الذّاتيّة يكتب لغاية كانت عبرّت عنها أحلام مستغانمي – وإن لم يكن السّياق سياق حديث عن السّيرة الذّاتيّة - بقولها " نحن نكتب لنستعيد ما أضعناه وما سرق خلسة منا".[30]

ولكن ما السّبيل إلى أيّام له انصرمت، أيّام لا تباع ولا تعار؟ إنّها الذّاكرة، فهي المنقذ من الضّياع والضّلال والعاصم من التّيه والتّلاشي. فهي الشّفيع لبعث حياة أصبحت رميما وهي النّصير لدرء موت يتربّص "وها أنا الآن أعود إلى الذّاكرة وأعيد البناء" (حنّة ص. 164). تعدّ هذه العبارة - في نظرنا - خير إجابة عن التّساؤلات التي طرحتها " حنّة " و" تقرير إلى ولدي عزيز " في مبتداها ومنتهاها، وخير إجابة عن دور الذّاكرة في الصّراع الذي يعيشه كاتب السّيرة الذّاتيّة مع الزّمن. يقول في كتابه " عندما تتكلّم الذّات" مصوّرا صراع الإنسان المرير مع الزّمن ورغبته الواهمة في مواجهة الحاضر متسلّحا بالذّاكرة ليبني قصورا من وهم لا يعيش فيها سوى لحظات" ثمّة ضرب من التّباري مع الزّمن في مثل هذه المؤلّفات وثمّة رغبة في مواجهة الحاضر عن طريق العودة إلى الماضي. ولكنّها رغبة وهميّة في حقيقة الأمر. لأنّ ظلال الحاضر وسيرة الزّمن تهيمن على فعل الكتابة وتلوّنه بمسحة من الكآبة تبدو آثارها واضحة في أغلب هذه المؤلّفات ".[31]

---

[29] – نوال السّعداوي، **الأنثى هي الأصل**، المؤسّسة العربية للدّراسات والنّشر، بيروت، 1974، ص. 201.

[30] – أحلام مستغانمي، **ذاكرة الجسد**، بيروت، 1993، ص. 105.

[31] – الباردي، **عندما تتكلم الذّات**، ص. 72.

ISSN : 2410-1818

ولعّل أهمّ ما يلفت الانتباه في جلّ المقاطع التي تعلّقت بالرّغبة في "مقاومة الفناء من أجل البقاء" على حدّ عبارة نوال السّعداوي [32] أنّها جاءت في بوح مرير مثقل بحيرة السّؤال، يترنّح بين مواجهة الزّمن وترقّب الموت، يقول في "حنّة "" هل تستطيع الكتابة أن ترمّم المكان الذي عبرته وبنى كيانك؟ اندثر الآن كلّ شيء. وهل أنت تستنجد بالكتابة لترسم المعمار. تسعى الذّاكرة إلى أن تعيد بناء الأشياء وتؤثّث الفضاء، الرّحبة والباب الخشبيّ الثّقيل والحوش الكبير وحارة اليهود وحوش الجدّ (من أمّك) وغيرها من العناصر، هل كانت كما رسمتها على الورق؟ لست أدري. ولكن الأكيد أنّني الآن احتوي العناصر وأتمثّل الأشياء" (ص. 135). ويقول في " تقرير إلى ولدي عزيز " " ولن يبقى من هذا العهد إلاّ ذكريات تنقل إليّ، وتملأ عقلي وخيالي، ولن أجد إلاّ هذه الأوراق، يا ولدي، لأرسم هذه الصّور والمشاهد والأخيلة وأتخفّف من عبء ظللت أحمله أعواما كثيرة " (ص. 253). وبهذا المعنى يصبح فعل التّذكر نفيا للموت، والبلى وإثباتا للحياة وروحها. وبهذا المعنى أيضا لا يكون الكلام في السّيرة الذّاتيّة حكيا وكلاما فحسب، بل هو أيضا وبالأساس محاولة للفعل والمقاومة، ولكنّها تبقى فعلا بلا أثر. وتظلّ محاولة بائسة يائسة.

الذّاكرة والكتابة: وجعلناها لذّة لصاحبها ولذّة للآخرين

تساءل رولان بارت قائلا " لماذا توجد في بعض الكتب التّاريخية والرّوائيّة وبعض السّير (بالنّسبة إلى بعضهم وأنا منهم) لذّة في رؤية تمثيل " الحياة اليوميّة " لعصر من العصور، ولشخص من الشّخصيات؟ [33] وإذا ما بحثنا عن إجابة لهذا التّساؤل في مؤلّفات الباردي وجدنا حديثا طويلا يؤكّد أنّ عمليّة التّذكّر تجعل حديث السّيرة الذّاتيّة حديثا لذيذا مشتهى. ففي كتابه " عندما تتكلمّ الذّات " اعتبر أنّ فعل التذّكر هو الذي يحقّق اللّذة التي يمكن أن تتحقّق في مجالات إبداعيّة أخرى، غير أنّها تبلغ منتهاها وتصل أقصاها في الكتابة السّيرذاتيّة " تستدعي السّيرة الذّاتيّة لمؤلفها تلك اللّذة الفنيّة الفريدة المتمثّلة في فعل الكتابة ذاته، قد يجد الكتاب والمبدعون عندما يؤلّفون في فعل الكتابة ضربا من اللّذة الذّاتيّة. ولكن هذه اللّذة الفنيّة تبلغ أقصاها في كتابة السّيرة الذّاتيّة. ذلك أنّ كاتب السّيرة الذّاتيّة يتلذّذ باستحضار الذّكريات السّعيدة التي عاشها ". [34]

وأكّد في الكتاب ذاته أنّ استحضار الذّكريات على ما فيه من عسر وضنى، وعلى ما فيه ومجاهدة ومكابدة ومغالبة، يحقّق للمتذكّر لذّة ما بعدها لذّة " إنّ فعل الكتابة في هذا الجنس الأدبيّ هو فعل استحضار للذّكريات واستعادة لماض بعيد. وهو فعل عسير. ولكنّه يبعث ضربا من اللّذة الفنيّة

---

[32] – العبارة لنوال السّعداوي، **أوراقي حياتي**، بيروت، دار الآداب، 2000، ج .1، ص. 7.

[33] – رولان بارت، لذّة **النّص**، ترجمة منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاريّ، ط. 1/ 1992، ص. ص. 93- 94.

[34] – الباردي، **عندما تتكلّم الذّات**، ص. 69.

ISSN : 2410-1818

لا يتوفّر في مجالات إبداعيّة أخرى. في هذا الجنس الأدبيّ يعيش المؤلّف لحظتين زمنيتين. إنّها لحظة تزامن فريدة أن يطلّ المؤلّف على حياته الماضية من موقع حاضره الذي يعيشه ".[35] فإذا تجاوزنا ما جاء في هذا الكتاب إلى رواية " حنّة " وجدنا السّياقات المخبرة عن اللّذة التي تدهم المؤلّف وتتملّكه غزيرة لا يمكن لنا استظهارها جميعا في هذا السّياق ولو حرصنا. وهو ما دفع بعض الدّارسين إلى القول "الحكي عن الذّات بسعادة غامرة، بحبّ وحنين، وكذلك هو الأمر في هذه السّيرة الذّاتيّة الرّوائية لمحمّد الباردي".[36]

وإذا ما بحثنا في الأسباب الباعثة على اللّذة في وجدناها تتجاوز تذكّر لحظات أحسّ فيها المؤلّف بلذّة عارمة عنيفة،[37] لترتبط بفعل التّذكّر ذاته " عندما أعود الآن إلى ذلك الماضي البعيد، وأحاول أن أستحضر المشاهد التي عشتها في طفولتي الأولى، وتتراءى لي الآن على شاشة أيّامي نقيّة صافية، كما أنيّ لو أعيشها في حاضر أيامي، تنتابني تلك اللّذة العنيفة " (حنّة ص. 65) "تستطيع الآن أن تغوص في ذاكرتك، وأن تذهب بعيدا، بعيدا. وتستطيع الآن أن تستمتع بهذه اللّذة العارمة. فلماذا لا تنتشي وأنت الآن جالس إلى مكتبك تنظر من خلال النّافذة إلى شجيرة الحنّاء التي طلعت في حديقة بيتك. أنت الآن تطلّ على الأيّام الماضية" (حنّة ص. 25).

ولكن لكلّ شيء إذا ما تمّ نقصان " فمهما كانت سعادة المرء وهو يطلّ على ماضيه البعيد ويستحضر أيامه الجميلة، يظلّ شبح الموت وعلامة النّهاية يعكران صفو هذه السّعادة التي تبنى على استحضار زمن ولّى ".[38] وإذا كان الأمر على هذا النّحو قلنا كم هي المقامات التي أبدى فيها الرّاوي الغبطة والرّضا، وما هو على نفسه ولا على زمانه راضيا. ولئن اعتبر بعض الدّارسين ذلك مظهرا من مظاهر الطّرافة [39] فإنّ رولان بارت قد أشار إلى أنّ اللّذة لا تتعارض مع عذاب الكاتب[40]

---

[35] – المصدر نفسه، ص. 69.

[36] – عبد الفتاح الحجري، **المشاعر لا تكتب إلا مرّة واحدة**، في " محمد الباردي روائيّا مبدعا"، ص. 196.

[37] – كنا من بعيد نتنشّق رائحة صابون المسكي، ورائحة الحناء التي يظهر لونهن على شعورهنّ. نعود إلى دورنا، تخامرنا أحلام شبقيّة، نختلي بأجسادنا، نلاطفها ونبتزّ منها لذّة عنيفة " (حنّة ص 162).

[38] – الباردي، **عندما تتكلّم الذّات**، ص. 72.

[39] – والطرّيف أنّ الفجيعة والتّباهي فيما يرويه الباردي من مقاطع حياته مقترنان في " حنّة " بفائض من الحنين ممزوج بكثير من الالتذاذ بالحكي الاسترجاعيّ الذي مثّل جسرا إلى الماضي يمكّن من عيش التّجربة مجدّدا بصورة من الصّور. شكري المبخوت، **الزّعيم وظلاله: السّيرة الذّاتيّة في تونس**، ص. 211.

[40] – رولان بارت، **لذّة النّص**، ص. 25.

ISSN : 2410-1818

وإذا ما تركنا الباردي يتلذّذ بنعيمه، ويصطلي بجحيمه في آن. وصرنا إلى القارئ نبحث عن نصيبه من اللّذة لأنّ " تاريخ السّيرة الذّاتيّة إذن وقبل كلّ شيء هو تاريخ صيغة قراءتها" [41] – وتساءلنا مع بارت مرّة أخرى " هل الكتابة، ضمن اللّذة، تضمن لي – أنا، الكاتب – لذّة قارئي؟ [42] ألفينا الباردي يقول " تتجاذبني الصّور في هذه اللّحظة، وأنا أمام هذه الأوراق. كم هي غزيرة تلك المشاهد النّابعة من الذّكريات البعيدة. أحاول الآن أن أرتّبها وأن أجد بينها نظاما. لعلّ القارئ يستسيغها ويجد لذّة في قراءتها " (حنّة .209) هنا نعود من جديد إلى الذّاكرة والأيديولوجيا لنجد الكاتب يسعى جهده أن يرضى المتقبلّ.

وإجمالا أكدّت الكتابة السّيرذاتية في تجربة الباردي عموما وفي كتاب "حنّة" خصوصا أنّها من النّصوص" المغناجة "[43] التي تتبرّج لذّة. وكانت اللّذة في النّصّ لذّتين: لذّة للكاتب إن أطلّ على ماضيه «وعلى هذا النّحو لم تكن أفضية الذّكرى من حيث مضامينها إلاّ من جنس ما ذكره الرّاوي عن متعة التّذكر. فلم تجئ اللّذات والمتع في النّص المروي صورة فحسب لما في التجارب من لذّة علقت بالذّاكرة بل هي صورة من متعة فعل تذكرها ". [44] ولذّة للقارئ قدرها الكاتب تقديرا إن هو أحسن التّنظيم والتّنضيد والتّرتيب والتّنسيق.

الذّاكرة والنّسيان: سنذّكرك فلا تنسى

يرى بلانشو ''أنّ النّسيان هو ماهية الذّاكرة''[45]. ويعدّ الحديث عن الذّاكرة والنّسيان من الثّوابت في الكتابة السّيرذاتيّة نقدا كانت أم إبداعا. فثنائية الذّاكرة والنّسيان لعبة متجذّرة في هذا الجنس الأدبيّ، وإن اختلفت السّياقات وتنوّعت الأسئلة. فالسّيرة الذّاتيّة كيفما نظرت إليها وجدتها "محكومة بذاكرة تنسى وتتوهّم وتشوّه ويعسر عليها في كل الحالات أن تحترم ترتيب الأحداث وتعاقبها "الواقعيّ". [46]والذّاكرة كيفما قلّبتها وجدتها مترجرجة قُلّبًا خؤونا.[47] ولم يخرج الباردي عن

[41] – فليب لوجون، السّيرة **الذّاتيّة الميثاق والتّاريخ الأدبّي**، ترجمة وتقديم عمر الحلي، بيروت، المركز الثّقافيّ العربيّ، ط.1/ 1994، ص. ص. 64– 65.

[42] – رولان بارت، **لذّة النّص**، ص. 25.

[43] – المصدر نفسه، ص.27.

[44] – شكري المبخوت، الزّعيم **وظلاله: السّيرة الذّاتيّة في تونس**، ص. 212.

[45]Maurice Blanchot, L'entretien infini, Gallimard, Paris, 1969, p 460.

[46] – شكري المبخوت، **سيرة الغائب سيرة الآتي**، ص. 81.

[47] – جورج ماي، **السّيرة الذّاتية**، ص. 83.

ISSN : 2410-1818

هذا الثّوابت. فتحدّث في مواطن عدّة من كتابه "عندما تتكلّم الذّات" عن الذّاكرة وطبائعها مؤكدا " أنّه لا سلاح لكاتب السّيرة الذّاتيّة سوى ذاكرته والذّاكرة معرّضة لآفة النّسيان. وهو "غربال يمرّ من ثقوبه إلاّ ما هو جوهريّ" على حدّ عبارة جوليان قرين (Julien Green).[48]

ويبدو أنّ الباردي لما شرع في كتابة سيرته الذّاتية كان وفيّا لما قاله نقدا. فهو قد امتشق سلاحه. وخاض مع ذاكرته معارك كثيرة، إذا تتبّعنا أيّامها بدا لنا الرّجل محرابا لا يولي الأدبار إلاّ قليلا. فالسّياقات النّصيّة التي أظهرت الباردي كأنّه يغرف من بحر حتّى دجّن الذّاكرة وألان سطوتها [49] كانت أكثر عددا من السّياقات التي أشارت إلى أنّه لا يذكر شيئا من حياته الماضية.[50] وكانت كذلك أكثر عددا من الحروب السّجال لتي بدت فيها الذّكريات مثل طيف يلوح ثم يضمحّل مرّة، ويلوح وتتكشف معالمه جليّة بيّنة صافية مرة أخرى.[51]

ولعلّ أطرف ما يلاحظه القارئ في بعض السّياقات التي حدثت بثنائيّة التّذكر والنّسيان هو أنّ محمد الباردي قد لاعب ذاكرته، فأكثر من ملاعباتها، وغازلها فأكثر من مغازلته، حتىّ يلين عريكتها، وحتّى يستدر عطفها، فلا تضنّ عليه بلذيذ الذّكريات، ولا تبخل عليه بما يساعده على إبعاد القريب، وتقريب البعيد. ويبدو أنّ الباردي قد حقّق في ذلك نجحا كبيرا. فقد قلّت الإشارات التي صورّت ذاكرته موحشة كالقفر قاحلة، ماؤها غور لا يستطع له طلبا، بينما كثرت الإحالات التي دلّت على أنه رجل يتذكّر فلا ينسى، وبرهنت على أنّ ذاكرته لا تبليها الأيّام، ولا يخترمها الزّمان. وإذا ما أحصينا ذلك عددا بان لنا أنّ" الذّاكرة النّسايّة " [52] وإن تردّدت في ثنايا " حنّة " ولا سيما في فواتح بعض الفصول فإنهّا ما استطاعت أن تبسط سلطانها على النّصّ السّيراذاتي بسطا. إذا سلّمنا

---

[48] – محمد الباردي، عندما **تتكلّم الذّات**، ص. 10.

[49] – ولا أزال أذكر ذلك اليوم من كلّ عام (ص.11) – لا أزال أذكر تلك الصّورة النّابعة من الذّاكرة. أذكر (ص.13) في هذه اللّحظة لا تزال تذكر كيف ذهبت إلى الكتّاب للمرّة الأولى (25) – أذكر تلك اللّيلة التي ولدت فيها أمّي" ص41. ويقول في "تقرير إلى ولدي عزيز: «يظهر المشهد الآن " ص .7 – تسعفني ذاكرتي الآن – 10–

[50] – يقول في "حنّة " " فأنا لا أذكر " – " لا أذكر شيئا عن أعوامي الثّلاثة الأولى"–" لا أذكر أنّي شاهدت في شارعنا الملتوي "لا أذكر أشياء كثيرة عن حياتنا " (الصفحات 151_ 154– 187 – 241) ويقول في تقرير إلى ولدي عزيز ...." لا أذكر اسمها الآن «– ولكن تلك المرحلة لا تزال بعيدة وأنا أروي صورة من حياتي كما عشتها أو أتخيل أنني عشتها – ولم نعد نذكر منها إلاّ هذه الصّورة التي رويتها الآن 77– (121– 122) – 150.

[51] – يقول في "حنة" " أحاول الآن أن أرسم ذلك الشّارع الطّويل الذي عشت فيه. ذاكرتي تخونني أحيانا. ولكنّني أستطيع الآن رغم ذلك أن أحدّد عناصره. وأن أؤثّث الحياة التي كانت تجري فيه. الصّورة في مخيلتي تبدو بعيدة. ثمّ تقترب شيئا فشيئا". أحاول الآن أن أجمع شتات أيّامي. مرّة أخرى تخونني ذاكرتي. أعلم ذلك. " لا أذكر شيئا من سنواتي الأولى عن المدرسة. وما أستطيع أن أدركه من الصّورة الضّبابية " (الصفحات– 55– 71– 154.) ...

[52] – Annelise Shulte Nordhorlt , *Le moi créateur dans la recherche du temps perdu* , L'Harmattan ,2002 ,p147 .

ISSN : 2410-1818

بالرّأي القائل" إنّ الذّاكرة يمكن أن تكون مخادعة لا يعوّل عليها في كل الأحوال، وإنّ قليلين هم الذين يمكن أن يستعيدوا بوضوح تفاصيل حياتهم الباكرة " [53] قلنا إنّ الباردي من أولئك القلائل الذين استطاعوا أن يستجلبوا مبعّدا منسيّا ويعيدوا مطاردا منفيّا.

ولعلّه من مزايا هذه الملاعبة أو المغازلة أيضا أنهّا صورّت في دقّة متناهية لحظة ما يمكن أن نسمّيه بـ" لحظة المكاشفة الذّاكراتيّة" التيّ تصوّر الأوجاع التي يكابدها المؤلّف حين تكايده الذّاكرة مداهية فيشقى، والتي تكشف الأصقاب التي تنتابه، وهو يستكدّ الذّهن العليل، ويشحذ الخاطر الكليل، عسى أن يتذكّر فلا ينسى. " أخشى أن تفوتني الصّورة ولا أسجّلها، الذّكريات كالومضات، أو كالنّجوم في السّماء تظهر وتختفي. والفالح من يصطادها في حينها لتضحي قبسا يضيء الطّريق" (تقرير إلى ولدي عزيز، ص. 52) " أحاول الآن أن أجمع أشتات أيّامي. مرّة أخرى تخونني ذاكرتي. أعلم ذلك. ولكنّ الأطياف التي تتراءى لي الآن، وأنا أجلس إلى مكتبي، وأفتح نافذتي لأطّل على البحر، وأرى ذلك اللّون الأزرق الذي يدهشني كلّما نظرت إليه تؤرّقني.. أراها كالشّياطين التي تتراقص، تتباعد وتتقارب. ولكنّها تغريني بأن أحاول أن أسحب منها تلك الأقنعة التي تحول دون أن أرى الأشياء على حقيقتها. هذه الأشياء عشتها ورأيتها مرّة ومرّة. لكنّها الآن أطياف تتراقص أمامي ولا أستطيع أن أمسك بها. ومع ذلك سأحاول أن ألاعبها، أن أجري عليها لعبتي الخاصّة " (حنّة ص. 71)

إنّ هذه النّصوص وكثيرها شائع [54] في رواية "حنّة " تحيلنا على قضيتين بارزتين: تتّصل الأولى بطرافة اللّعبة التي تجمع بين المؤلّف وذاكرته. وهي لعبة عنيفة يصارع فيها المؤلّف سلطان ذاكرة ويغالبها كي تقول ما يريد أن يقوله ويغالب الماضي كي يقال. ومع هذه اللّعبة نقف إزاء حركة لا تكلّ ولا تهدأ فيكون السّفر في التّيه بحثا عن الأصقاع المحجّبة. ومع هذه اللّعبة أيضا نجد أنفسنا " إزاء السّارد يعبث بذاكرته وتعبث به ذاكرته لتشييد بيوت من وهم ذات جدوى مزدوجة. فهي أولا تمكّنه من إعادة استحضار عالمه القديم. وهي ثانيا تقنع المتقبّل بواقعيّة ما يعرض. وتتّصل القضيّة الثّانية بطبيعة الخطاب الذي يخرج فيه المؤلّف تلك النّصوص التي يكتبها صاحبها تحت وطأة الوجد. [55] فيغدو خطابا نثريا شعريّا حالما. وقد أشار بعض الدّارسين في هذا السّياق إلى أنّ " الأنا المتذكّرة" تصبح

---

[53] – جابر عصفور، **زمن الرّواية**، ص. 169.

[54] – نذكر تمثيلا " بقي الكثير ورحاب الذّاكرة واسعة. ولكنّ اللّحظة التي تريد اقتناصها تلاعبك، تراودك، ثم تختفي الصّورة. وعلى الصّورة أنّ تظهر، تبدو غائمة، ثم تتجلىّ شيئا فشيئا. وتنقشع الغيمة. ومع ذلك تشعر الآن بالإرهاق، فعسير على المرء أن يعيش اللّحظة مرّة ثانية ص. 41.

[55] – وما من ريب في أنّ الكتابة تحت وطأة الوجد هي ضرب من الاستجابة لغزيرة القداسة، أو غزيرة الهدف النّبيل، وبغير هذه الغريزة لن يكون الإنسان سوى شيء بين الأشياء" يوسف سامي اليوسف، **مقدمة للنفري، دمشق**، سوريا، دار الينابيع، 1997، ص 15.

ISSN : 2410-1818

"أنا حالمة "[56] وأنّ الأنا" الرّاوية كثيرا ما تتحوّل إلى " الأنا " شاعرة " تشعر " ما كانت ترويه أو تصفه ". [57] ولعلّنا لا نغالي في التّأويل إن قلنا إنّ أكثر السّياقات التي غازل فيها الباردي ذاكرته ولاطفها قد "اغتسلت بأمطار الشّعر" حدّ عبارة نزار قبّاني وجعلتها نصوصا تضاهي بعض النّصوص التي حكم لها دارسو السّيرة الذّاتيّة ونقّادها بالشّعريّة ساعة استحضار الذّكريات.[58]

الذّاكرة ولعبة الخيال الماكرة

لقد أرجأنا الحديث عن قضيّة الذّاكرة وعلاقتها بالخيال والتّخييل إلى القسم الأخير من عملنا لأنّنا نعتبرها القضيّة الأصل التي تتحكّم في كلّ القضايا التي يمكن أن تثار في الكتابة السّيرذاتيّة في تجربة محمد الباردي. وما اهتمام الدّرس النّقديّ في السّنوات الأخيرة بموضوع التّخييل والتخييل الذّاتيّ في الكتابة عن الأنا سوى دليل يؤكّد منزلة هذه القضيّة من كتابة الأنا عموما ومن كتابة الأنا في السّيرة الذّاتيّة خصوصا.[59]

ولا يعسر على المرء إن بحث عن أصداء هذه القضيّة في مؤلّفات الباردي أن ينتهي إلى أنّ الرّجل قد قلّب المسألة ذات اليمين وذات الشّمال، منذ أن آمن في كتابه النّقديّ بأنّ الشّكل الرّوائيّ هو" الشّكل الأرقى في كتابة السّيرة الذّاتيّة حيث تتّسع مساحة الإبداع ويسمح للمخيّلة بأن تلعب لعبتها

---

[56] – يتداخل في السّيرة الذّاتيّة الاسترجاع مع الخطاب الرّومانسيّ ويتحوّل الأنا من ذات متذكّرة إلى حياة حالمة " محمد رشيد ثابت، **الأنا بين الإنشاء والنّشأة في خطاب السّيرة الذّاتيّة**، ص. 44.

[57] – الخبو، **بعض ملامح "الأنا " الرّاوية والمرويّة في الخطاب الرّوائيّ المعاصر: إدوار الخرّاط نموذجا**. 221.

[58] – انظر تعليق جليلة طريطر على نص حنا مينة التالي " لكن تلك الدّار التي هدمت تتراءى لي كبقايا حلم كانت بدء وعيي بالوجود وظلّت رؤاها مزقا تتجمّع وتتفرّق تظهر وتغيم تتسلسل ينقطع تسلسلها تنقلب تتجلس وتمحي بفعل الزمن، كما تمحي الصّور على القبور بتأثير الشّمس والريح والمطر. الآن لم يبق من ورق تلك الدار سوى مشاهد ضبابية.. لعلها ترسّخت بفعل حديث الأم عنها " بقايا صور، بيروت، دار الآداب ط5/ 1990، ص. 56. (مقوّمات **السّيرة الذّاتيّة في الأدب العربيّ الحديث**، الهامش 90، ص. 229).

[59] – انظر على سبيل التّمثيل حسن الأشكر، **أنساق التّخييل الذّاتي والمذكّرات والسّيرة الذّاتيّة في الرّواية العربيّة** ، القنيطرة ، المطبعة السّريعة ، ط1/ 2010 – محمد برادة ، **دليل العنفوان ، تحويل السّيرة إلى تخييل والتّذكّر إلى تجربة فضاءات روائيّة** ، المغرب ، منشورات وزارة الثّقافة ، ط1 / 2003 – سعيد جبّار، **من السّرديّة إلى التّخييليّة بحث في بعض الأنساق الدّلالية في السّرد العربيّ**، الجزائر، بيروت منشورات الاختلاف / منشورات ضفاف ، ط1/ 2013 (انظر خاصّة الفصل الثّاني من الباب الأوّل " حول مفهوم التّخييل ص37 وما بعدها والفصل الأول من الباب الثّاني " حدود التّخييل في الكتابة عن الذّات ص. 67 وما بعدها) – ميشال فوكو ، **تأويل الذّات : دروس ألقيت في " الكوليج دو فرانس** " لسنة 1981– 1982 ، ترجمة وتقديم وتعليق الزّواوي بغورة ، بيروت ، دار الطّليعة للطّباعة والنّشر ، ط1/ 2011، زهور كرام ، **ذات المؤلّف من السّيرة الذّاتيّة إلى التّخييل الذّاتي** ، الرّباط ، مكتبة دار الأمان ، ط.1/ 2013.

ISSN : 2410-1818

الفنيّة ".[60] وتجلىّ هذا الإيمان، وبان ذلك الإدراك ساعة الإبداع في وصل العنوان الأكبر (حنّة وتقرير إلى ولدي عزيز) بالعنوان الأصغر أو العنوان المصاحب "سيرة ذاتيّة روائيّة ".

فإذا تركنا العتبات وصرنا إلى النّصوص نقلّب النّظر في الخطاب الواصف للذّاكرة وعلاقته بالتّخييل لم نجد عبارة موجزة مكثّفة تلخّص علاقة المرجعيّ بالتّخييليّ في الكتابة السّيرذاتيّة كعبارة " لن يستطيع المرء أن يعيش حياته مرّتين. وإن فعل فلن تكون المرّة الثّانية إلا أكذوبة اصطنعها الخيال". (حنّة. ص. 71) ورغم هذا الإيمان الذي يؤكّد صاحبه أنّ كتابة السّيرة ذاتيّة لن تكون إلا عملا من صنع الخيال، ورغم تصديره بمقولة محمد شكري التي أشرنا إليها سابقا فإنّ شواهد كثيرة تدلّ أنّ الباردي عاش حيرة ممضّة عاتية ليقنع المتقبلّ بأنّه كتب أكذوبة من صنع الخيال.

فقد تساءل " لا أتمثّل الأشياء كلّها، الآن، كما كانت أو كما يجب أن تكون، بل كما أراها. لذلك قال أحد الكتّاب، إذا كانت معظم الرّوايات هي سيرة ذاتية ممّوهة، فإنّ هذه السّيرة الذّاتيّة هي رواية ممّوهة. لست أدري هل تصحّ هذه المقولة على هذه الأوراق التي أكتبها الآن." (حنّة ص. 151.) لعلّنا لا نخطئ التأويل إذا ذهبنا إلى أنّ الاستفهام في هذا الشّاهد ما كان يعبّر عن حيرة من أعياه الجواب. بل كان يعزّز حقيقة مدارها أنّه فعلا كتب نصّا متخيّلا ممّوها كاذبا. وتساءل أيضا " أرى وجوها لم أعد أراها وأعرفها. ولكنّي أنسج منها هذه الصّورة عن مدينتي الصّغيرة، عن عالمي الذّاتي، عن شخصيّ. ولست أدري، هل هي صورة صادقة أم أنّ الخيال لعب لعبته الماكرة وأدخلني في مأزق الكذب والابتداع ". (حنّة ص. 131) وفي هذا السؤال أيضا إجابة بالإثبات إذ هو يعلم ويريد أن يُعلم أنّه كان كشكري من كبار الكذّابين ومن كبار المراوغين. ألم يعترف الرّجل بأنّ أعمدة البناء عنده ثلاثة تخيّل فابتكار فتذكّر " تجلس الآن أمام أوراقك. رغم كلّ شيء، تدرك أنّك أحوج النّاس إلى هذه الأوراق. صحيح تبني في خيالك مدينة بأكملها، قد لا يجد في هذه الأوراق من عاش فيها شيئا ممّا تقول وتروي. ولست بحاجة لتؤكّد أنّ هذه الأشياء قد حدثت. يكفي في هذه اللّحظة أنّك تحلّق بأجنحتك، وتعود إلى أماكن لن يجدها أحد. تعود إليها. تتخيّلها. تبتكرها. تتذكّرها. ولكنّك واجد فيها لذّة لم تعشها سنين عديدة " (ص. 165).

وإذا جاز لنا أنّ نؤوّل التّرتيب الذي كان فيه الخيال والابتكار أولا والذّاكرة في محلّ ثان رأينا أن التّخييل لم يعد مجرّد ظاهرة قد تظهر وقد تختفي. بل هو أسّ الأساس في هذا الضّرب من الكتابة لأنّه " مثلما يصعب، في الخطاب السّيرذاتي، فصل صورة العالم في ماضي الأنا، عن صورته في راهنه، يصعب فيه كذلك فصل مظهر التّذكر عن مظهر التّخييل " [61]

[60] – محمد الباردي، **عندما تتكلّم الذّات**، ص.191.

[61] – محمد رشيد ثابت، **الأنا بين الإنشاء والنّشأة في خطاب السّيرة الذّاتية**، ص.32.

ISSN : 2410-1818

لا عجب عندئذ إن وجدنا الباردي يكثر من الحديث عن الوهم والكذب " ولكنك ستقرأ مع ذلك، في هذه السّيرة قصصا وحكايات عشتها أو توهمّت أنيّ عشتها، فانظر إليها كما تشاء " (تقرير إلى ولدي عزيز ص. 25) ولا يرى في ذلك - كما لم ير غيره [62]– حرجا. إنّه الخيال يلعب لعبته. وماذا يعني أن يكون الخيال كذّابا " (ص. 239)، ولا غرابة إن وجدناه يكثّف من الحديث عن منزلة الصّورة في كتابه " حنّة" عموما وفي كتابه " تقرير إلى ولدي عزيز" خصوصا" لا تفكّر في الأسماء يا ولدي. إنّ الأسماء لا تعني لك شيئا. قد تكون كنى، أو أقنعة. وماذا يهمّك منها؟ عندما تبر ستدرك مثلي أنّ الصّورة هي كلّ شيء. لقد عشت يا ولدي في مرحلة من حياتي، أسير الصّورة. وها أنا لا أحدّثك عن الأشخاص كما كانوا أو كما يكونون، ولكني أرسم لك صورهم وأحدّثك عنها. لأنّي في هذه اللّحظة لا أملك إلاّ هذه الصّور التي تعلق بذاكرتي. (تقرير إلى ولدي عزيز ص. 77) يؤكّد هذا الشّاهد وأمثاله كثيرة [63] أن السّيرة الذّاتيّة في تجربة الباردي قد وصلت إلى أسنى درجات التّخييل فانزاح ما "هو محسوس إلى ما هو مجرّد تخييلي" .[64] والطّريف أنّه لم يصل جنوحه إلى التّخييل دائما بقصور الذّاكرة وبتعطّل قنوات المعرفة التي تفرض عليه إن لم يتذكّر الحادثة أن يتخيّلها ، بل لعلّه فعل ذلك لأنّ الخيال قد يصوّر "واقعيّة "الأشياء أكثر من أي واقع فعلي كما ذهب إلى ذلك إدوار الخرّاط. [65]

---

[62] – فلكاتب السّيرة الذّاتيّة أن يطلق لخياله العنان كما يحلو، وكلّما أمعن في خياله كان ذلك أفضل، وذلك في طريقة ربطه لمواده بعضها ببعض، ليون إدل، **فنّ السّيرة الأدبية** ترجمة صدقي حطّاب، بيروت، دار العودة، 1988، ص. 18.

[63] – ستتّهمني يا ولدي، أنّني في هذه الأوراق، ظللت أسير الصّورة، والصّورة نفسها ظلّت عائمة في مخيّلتي، تظهر وتتجلّى حينا وتختفي وتعتم حينا آخر. ولكن ما العمل وأنا مشدود إلى تلك الفكرة التي تقول إنّ التذكر يكون أحيانا شفاء للمصابين والمرهقين؟ ولكنّي أعتقد أنّه بلسم للمصابين إذا أرادوا أن يستمروا في حياتهم، ص. 153 – " ولكن لا تفكر في الأسماء يا ولدي. ولا تنشغل بها، أنا أحدثك عن الصورة، ولا شيء غير الصّورة " ص .94.

[64] – محمد الخبو، بعض ملامح "الأنا " الرّاوية والمرويّة في الخطاب الرّوائيّ المعاصر: إدوار الخرّاط نموذجا، فصول، م 16، ع. 4، ربيع 1998، ص. 217.

[65] " تخونني الذّاكرة أم تصوّر لي خيالاتي شيئا أكثر واقعية من أي "واقع" فعلي؟ أم أن هذا ما حدث فعلا ما شأن ما أكتب هنا بما حدث فعلا؟ هل ما حدث أكتبه؟ وما أكتبه حدث؟ ثم ماذا يمكن أن يكون حدث، إدوارد الخرّاط، إسكندريتي ، مدينتي القدسيّة الحوشيّة (كولاج روائي)، الفجّالة والإسكندريةّ ،دار ومطابع المستقبل ، ط.1/ 1994 ص. 128.

ISSN : 2410-1818

خاتمة

تقول فرجينا وولف إنّ السّيرة الذّاتية " نوع من الصّنعة الرّاقية ".[66] ويبدو أنّ رقيّ هذه الصّناعة في تجربة محمد الباردي قد ارتبط أكثر ما ارتبط بالحديث عن الذّاكرة، لا سيما في السّياقات التي صوّرت المؤلّف وهو في حالة انخطاف وانتشاء يتلذّذ بالذّكرى ويتمتّع بالاستذكار. فحينها تكف اللّغة عن الأخبار والإبلاغ لتسمح للسّرد ينفض مما يثقله من أوزار حتّى يكون الكلام على الذّاكرة ضربا من الشّعر أو على الأقلّ حتى يكون فيه شيء من الشّعر.

وإذا تركنا لغة الشّعر التي جعلت الكلام على الذّاكرة خطابا مستعذبا مستطرفا يصل تجربة صاحبه بأرقى النّماذج التي عرفها أدب السّيرة الذّاتيّة عند العرب مثلما أشرنا إلى ذلك وجدنا الباردي وإن التزم بالقضايا التّقليديّة التي تثار مع قضية التّذكّر في هذا الجنس الأدبيّ وقال فيها معادا مكرورا – إذ التّقليد ظهر بداية من عناوينه الكبرى والصغرى وامتدّ إلى أغلب المسائل التي دار عليها كلامنا في هذا العمل- [67] فإنّه تشكيله للذّاكرة على هيئات مختلفة - سواء أكان ذلك في خطاب روائيّ شعريّ أم في خطاب نثريّ نقديّ - أبان في بعض الأحيان أنّه لا يؤمن بمقدّسات يقف عند حدودها ، ولا يعترف بخطوط حمراء لا يتجاوزها. وإذا شئنا مزيد التّدقيق قلنا يبدو الخطاب الواصف للذّاكرة في هذه التجربة ظاهريّا متصلاً بتراث نقديّ وإبداعيّ ما عاد يسمح بالطرّافة ولا بالإضافة، فإذا ما وقفنا عنده وقفة متأنيّة رأينا أن التّجديد فيه يأتي متلبسا بالتّقليد إلى حدّ لا يمكن معه في أحيان كثيرة أن نتبيّن ما أضاف اللاّحق إلى السّابق.

فإذا كان الغالب على كتاب السّيرة الذاتيّة مثلا أن يصوّروا الذّاكرة خلّبا قلّبا أحداثها متقطّعة مبتورة مقتضبة مجذومة تبريرا للخيال يرتق ما تفتقّ ويبني ما تهدّم، فإنّ الباردي وقد أسرف في الحديث عن الخيال والتّخييل لم يتذرّع بما تذرّعوا به. بل أكدّ في غير موضع أنّ ذاكرته ذاكرة أمينة لا تنسى إلاّ قليلا. وإذا كان الشّائع كذلك عند مؤلّف السّيرة الذّاتيّة أن يلّح على الإيهام بالصّدق ويتحرّى فيه حتّى لا يكتب عند القارئ كذّابا، فإنّ البّاردي وإن اقتفى أثر سابقيه أحيانا، فإنّه منذ العتبات أخبر

---

[66] – ليون إدل، **فنّ السّيرة الأدبيّة**، ص. 24.

[67] – ليس الباردي أوّل من أضاف عبارة سيرة ذاتيّة روائيّة لعنوانه الأكبر. إذ هي عبارة شائعة عند عدد غير قليل من مؤلفي السّيرة الذّاتيّة. كما أنّ عنوانه الأكبر" تقرير إلى ولدي عزيز" يستحضر صيغ بعض العناوين نذكر من بينها " تقرير إلى غريكو: سيرة ذاتيّة فكريّة " لسينيكوس كازنتزاكس، ترجمة محمد عدوان ،المركز الثقافي العربي ، 2007 .

ISSN : 2410-1818

قارئه بأنّه سيكون كذّابا. بل أكّد في متن كتابيه الأوّل والثّاني أنّه سيكون من كبار الكذّابين ومن كبار المراوغين، رغم أنّ ذاكرته كانت مطواعا لم تبخل عليه ولم تتمنّع. فقد خضّب "حنّته " عموما " وتقرير إلى ولدي عزيز " خصوصا بألوان من الحديث عن التّخييل. ألوان أشارت من جهة إلى أنّ الخيوط الفاصلة بين الذّاكرة والتّخييل أوهى من خيوط العنكبوت، وأشارت من جهة ثانية إلى أنّ الخطاب الواصف للذّاكرة قد شكّل في تجربة الباردي النّقديّة والإبداعيّة شبكة موصولات المكوّنات فصلنا بين عناصرها فصلا إجرائيّا حتى نميّز فيها الطّارف من التّليد.

ISSN : 2410-1818

ثبت في مصادر البحث ومراجعه

(مرتبّة ترتيبا ألفبائيا دون اعتبار ابن وأبو)

المصادر

- **الباردي**، محمد، **عندما تتكلّم الذّات**، السّيرة الذّاتية في الأدب العربيّ الحديث، تونس، منشورات مركز الرّواية العربية بقابس وكلية الآداب بصفاقس، 2008.

- ـــــــــــــــــــ، حنّة - **سيرة ذاتيّة روائيّة** -، تونس، مركز الرّواية العربيّة للنّشر والتّوزيع، ط.1/ 2010.

- ـــــــــــــــــــ، **تقرير إلى عزيز أو سيرة مدينة -سيرة ذاتيّة روائيّة** - الكتاب الثّاني، ضحى للنّشر والتّوزيع، 2012.

المراجع

الكتب العربيّة والمعرّبة

- **إدل**، ليون، **فنّ السّيرة الأدبيّة**، ترجمة صدقي حطّاب، بيروت، دار العودة، 1988.

- **الأشكر**، حسن، **أنساق التّخييل الذّاتي والمذكّرات والسّيرة الذّاتيّة في الرّواية العربيّة**، القنيطرة، المطبعة السّريعة، ط.1/ 2010.

- **بارت**، رولان، **لذّة النّصّ**، ترجمة منذر عيّاشي، مركز الإنماء الحضاري. 1/ 1992.

- **برادة**، محمد، **الرّواية ذاكرة مفتوحة**، القاهرة، آفاق للنّشر والتّوزيع، ط.1/ 2008.

- ـــــــــــــــــــ، **دليل العنفوان**، تحويل السّيرة إلى تخييل والتّذكّر إلى تجربة فضاءات روائيّة، المغرب، منشورات وزارة الثّقافة، ط.1 / 2003.

- **برديائف**، نيقولاس، **الحلم والواقع**، ترجمة فؤاد كامل، مراجعة علي أدهم، مصر، الهيئة المصريّة للكتاب، ط.1/ 1984.

- **جبّار**، سعيد، **من السّردية إلى التّخييلية: بحث في بعض الأنساق الدّلاليّة في السّرد العربيّ**، الجزائر، بيروت، منشورات الاختلاف، منشورات ضفاف، ط.1/ 2013.

- **الخرّاط**، إدوارد، إسكندريتي، مدينتي القدسيّة الحوشيّة (كولاج روائي) الفجالة والإسكندرية، دار ومطابع المستقبل، ط.1/ 1994.

ISSN : 2410-1818

- **الدّاهي**، محمد، **الحقيقة الملتبسة، قراءة في أشكال الكتابة عن الذّات**، الدّار البيضاء، شركة النّشر والتّوزيع المدارس، ط. 1 / 2007.

- **السّعداوي**، نوّال، **الأنثى هي الأصل**، المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر، بيروت، 1974.

- ــــــــــــــــــ، **أوراقي حياتي**، بيروت، دار الآداب، 2000.

- **الشّاوي**، عبد القادر، **الكتابة والوجود**، أفريقيا الشّرق، 2000.

- **الطريطر**، جليلة، **مقوّمات السّيرة الذّاتيّة في الأدب العربيّ الحديث (بحث في المرجعيات)**، مركز النّشر الجامعيّ، مؤسّسة سعيدان للنّشر، 2004.

- **عبد الله**، محمّد قاسم، **سيكولوجيا الذّاكرة (قضايا واتّجاهات حديثة)**، عالم المعرفة، عدد 290، فبراير 2003.

- **عبيد**، محمد صابر، **تمظهرات التّشكل السّيرذاتي: قراءة في تجربة محمد القيسي السّيرذاتية**، الأردن، عالم الكتب الحديث، 2010.

- **الغامدي**، صالح معيض، **كتابة الذّات دراسات في السّيرة الذّاتيّة**، المركز الثّقافي العربيّ، ط.1/2013.

- **فوكو**، ميشال، **تأويل الذّات: دروس ألقيت في " الكوليج دو فرانس " لسنة 1981- 1982**، ترجمة وتقديم وتعليق الزّواوي بغورة، بيروت، دار الطّليعة للطّباعة والنّشر، ط.1/ 2011.

- **كازنتزاكس**، نيكوس، **تقرير إلى غريكو: سيرة ذاتيّة فكريّة**، ترجمة محمد عدوان، المركز الثّقافي العربيّ، 2007.

- **كرام**، زهور، **ذات المؤلّف من السّيرة الذّاتيّة إلى التّخييل الذّاتي**، الرّباط، مكتبة دار الأمان، ط.1/ 2013.

- **لوجون، فليب، السّيرة الذّاتيّة الميثاق والتّاريخ الأدبّي**، ترجمة وتقديم عمر الحلي، بيروت، المركز الثّقافيّ العربيّ، ط.1/ 1994.

- ماي، جورج، **السّيرة الذّاتيّة**، تعريب محمد القاضي وعبد الله صولة، المؤسسّة الوطنيّة للترّجمة والتّحقيق والدّراسات، بيت الحكمة، 1992.

- **المبخوت**، شكري، **سيرة الغائب سيرة الآتي، السّيرة الذّاتيّة في كتاب "الأيام" لطه حسين**، مسكيلاني للنّشر، ط.3/ 2015.

- ــــــــــــــــــ، **الزّعيم وظلاله السّيرة الذّاتيّة في تونس**، المنشورات الجامعيّة بتونس، ط.1/ 2016.

ISSN : 2410-1818

- **مستغانمي**، أحلام، **ذاكرة الجسد**، بيروت، 1993.

- **ابن ميمون**، ابو غالب محمد بن المبارك، منتهى **الطّلب أشعار العرب**، نشر تصوير المخطوطة فؤاد سزكين، فرانكفورت، 1986.

- **نصر**، حسن، **دار الباشا**، تقديم محمد القاضي، عيون المعاصرة، دار الباشا، 1994.

- **اليوسف**، سامي اليوسف، **مقدمة للنّفري**، دمشق، دار الينابيع، 1997.

الدّوريات

- **الحجمري** (عبد الفتّاح)، **المشاعر لا تكتب إلا مرّة واحدة**، في" محمد الباردي روائيّا مبدعا" ، ص. ص. 193- 196.

- **الخبو**، محمد، **بعض ملامح "الأنا " الرّاوية والمرويّة في الخطاب الرّوائيّ المعاصر: إدوار الخرّاط نموذجا**، فصول، م. 16، ع 4، ربيع 1998، ص. ص. 212- 226.

- **ثابت**، محمد رشيد، **الأنا بين الإنشاء والنّشأة في خطاب السّيرة الذّاتيّة**، موارد (مجلّة كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة بسوسة)، ع 10، 2005.

- ـــــــــــــــــ، **الإنشائيّ يشكّل التّاريخيّ في خطاب السّيرة الذّاتيّة " أيّامي لأحمد السّباعي نموذجا " علامات في النّقد**، م16، ج 65، 2008، ص. ص .273- 289.

- **رشيد**، بنحدو، **كتابة الماضي بالمضارع**، علامات في النقد، م. 23، ج. 6، مارس 1997، ص. ص. 263- 282.

- **زايد**، على الدّرغامي، **إشكالية النّوع والتجنيس: السّيرة الذّاتيّة نموذجا**، علامات في النّقد، م.16، ج 65، 2008 ص.ص. 157- 195.

المراجع الأجنبية

Gaston, *La poétique de l'esp*ace, QUADRIGE/P.U.F.2001. Bachelard, -
- Blanchot - Maurice, *L'entretien infini*, Gallimard, Paris ,1969.
- Lejeune، Philippe, *L'autobiographie en France*, Paris, Armand Colin, 1971.
- Lombard (Jean) , *Variantes romanesques de quelques épisodes historiques*, in Récit et Histoire, ouvrage publie avec le concours du centre National des lettres, PUF, 1984.
- Nordhorlt (Annelise Shulte), *Le moi créateur dans la recherche du temps perdu*, L'Harmattan ,2002.